القِيَمُ النَّبَوِيَّة

إِرْثٌ مُسْتَدَامٌ

إعداد

الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف والزكاة

1446هـ - 2024م

الْقِيَمُ النَّبَوِيَّة

إِرْثٌ مُسْتَدَامٌ

إعداد

الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف والزكاة

1446هـ - 2024م

قال الله سبحانه وتعالى

لنبيه محمد ﷺ:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

[القلم: 4]

المقدمة

إن الحديث عن قيم رسول الله ﷺ كالشهد الذي يحلو كلما تكرر والحديث عن أخلاقه وشمائله حديث لا يخبو وهج توقده، فخلقه ﷺ هو الخلق العظيم، وفعله هو الفعل الكريم، ونفع رسالته هو النفع العميم، فهو ﷺ لم يكن رسولًا لقوم دون قوم، ولا لجيل دون جيل، بل كان قدوة حسنة لجميع البشرية، تتجسد فيه أعلى معاني القيم الإنسانية.

فهو النبي المرسل، والإنسان الرحيم، والقائد المحنك، والزوج الرفيق، والأب الحنون، والصاحب الوفي، والتاجر الأمين، وكلها صفات نستحضرها لنهتدي بها، ونستذكرها لنقتدي بها.

وانطلاقًا من ذلك؛ تقدِّم الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف والزكاة هذا الإصدار، بعنوان «**القيم النبوية إرث مستدام**» ليجول قارئه في واحة من القيم النبيلة التي تجسدت في أخلاق النبي ﷺ، الأسوة الحسنة، والمثل الأعلى، الذي مهما قيل في أخلاقه؛ لن يسعف البيان، ومهما عدد من شيمه لن يرقى التعبير لتمام الوصف.

الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف والزكاة

أخلاق النبي ﷺ إرث مستدام

لقد امتدح الله تعالى نبيه محمدا ﷺ بأخلاقه السامية فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، وبين نبينا ﷺ أن الغاية من بعثته إتمام مكارم الأخلاق فقال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»[2].

وقد تبلورت تلك الأخلاقيات السامية في صورة جواهر كامنة في مظانها من كتب السنة والسيرة والشمائل، لتشكل إرثًا مستدامًا من القيم الراقية، التي تؤسس لبناء منظومة أخلاقية شاملة لجميع مناحي الحياة، ولكل أفراد المجتمع وشرائحه، وفي كل ظروف الحياة وأحوالها، قبل بعثته ﷺ ومعها، وبعدها حتى يومنا هذا.

فكان ﷺ قبل بعثته صادقًا، أمينًا، متواضعًا، لينًا، حليمًا، سخيًّا، كريمًا، عطوفًا، رحيمًا؛ يعفو عمن ظلمه، ويصل من قطعه، ويصبر على الأذى، ويحسن إلى من أساء إليه أو اعتدى، ينطق فصلًا، ويقول عدلًا.

وبعد بعثته ﷺ كانَ خلقُهُ القرآنَ [3]، كمَا وصفتْهُ السيدةُ عائشةُ رضيَ اللّه عنهَا.

كمَا كان ﷺ أَجْوَد النَّاسِ صَدْرًا، وَأَصْدَقهم لَهْجَةً، وَأَلْيَنهُمْ عَرِيكَةً، وَأَكْرَمهُمْ عِشْرَةً [4].

وكان يدعو إلى الأَخْلاق الكَريمَة كما وَصَفه سَيِّدُنَا جَعْفَر بْن أَبِي طَالب رَضيَ اللّه عَنْهُ فَقَالَ: أَمَرَنَا بصدْق الْحَديث، وَأَدَاء الأَمَانَة، وَصلَة الرَّحم، وَحُسْن الْجوَار، وَالْكَفِّ عَن الْمَحَارم وَالدِّمَاء، وَنَهَانَا عَن الْفَوَاحش، وَقَوْل الزُّور، وَأَكْل مَال الْيَتيم [5]، فهوَ ﷺ المثلُ الأعلَى في بابِ الأخلاقِ، والقدوةُ العظمَى في بابِ الآدابِ؛ قولًا وعملًا.

رحمته ﷺ

عُرف ﷺ برحمته وشفقته على الصغير والكبير، وبرفقه بالناس كافة، ورحمته لهم عامة، فكان كما جاء وصفه ﷺ في القرآن الكريم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[6].

لقد كانت حياته ﷺ مع أهله قائمة على أساس الرحمة والمودة عملًا بقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ[7].

وكان ﷺ يوصي بالنساء خيراً، ويقول: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»[8].

ومن كريم أخلاقه ﷺ في تعامله مع أهله أنه كان يُحسن إليهم، ويرأف بهم، ويتودّد إليهم، فكان يمازحهم ويداعبهم، ومن ذلك أنه ﷺ كان يختصر اسم عائشة رضي الله عنها ترخيمًا وتوددًا فيقول لها: «يا عائش»[9].

كما كان ﷺ في تعامله مع العمال رحيماً عطوفاً، فقد جعل العامل بمثابة الأخ: فعَنِ المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، أن رسول الله ﷺ قَالَ: «...إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِه، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»[10].

وكان ﷺ لا يكلفهم فوق طاقتهم، وينهى عن الإساءة إليهم.

بل لقد تعدت رحمته ﷺ لتشمل كل المخلوقات من الحيوانات والنباتات والبيئة.

كرمه ﷺ

أُثر عنه ﷺ الكرم، فربما أتاه المال الكثير فوزعه على الناس، فلا يبيت عنده شيء، وفي الحديث أنه ﷺ :كان أجودَ الناسِ بالخير[11].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ، فَقَالَ: لَا[12].

وقال ﷺ: «لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ العِضَاهِ -نوع من الشجر- نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لاَ تَجِدُونِي بَخِيلًا، وَلاَ كَذُوبًا، وَلاَ جَبَانًا»[13].

وقال عليه الصلاة والسلام: «لَوْ كانَ لي مِثْلُ أُحُد ذَهَبًا ما يَسُرُّني أنْ لا يَمُرَّ عَلَيَّ ثَلاثٌ، وعِندي منه شيءٌ إلَّا شيءٌ أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ»[14].

وسأله أناس من الأنصار فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى إذا نَفدَ ما عنده قال: «ما يَكُنْ عِندي مِن خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ»[15].

صبره ﷺ

لقد بلغ صبر رسول الله ﷺ مبلغًا عظيمًا، عملًا بقول ربه تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾[16]، فكلما أزعجه كلامٌ أو آذاه مقالٌ تذكر قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾[17]، وكلما بلغ الأمر أشده وأضيقه تذكر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[18]، فكان مضرب المثل في سعة الصدر، وجليل الصبر، وثبات القلب.

فمن المواقف العظيمة التي برز فيها صبره ﷺ يوم وفاة ولده إبراهيم، فقد قابل هذا الموقف العصيب بقلب صابر محتسب وقال: «إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، والقَلْبَ يَحْزَنُ، ولَا نَقُولُ إِلَّا ما يَرْضَى رَبُّنَا، وإِنَّا بِفِرَاقِكَ يا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»[19].

ومن صبره عليه الصلاة والسلام الممزوج بحلمه وحسن معاملته: ما حكاه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله وعليه برد نجرانيّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيّ فجبذه بردائه جبذةً شديدة حتّى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله قد أثّرت بها حاشية البرد من شدّة جبذته، ثمّ قال: يا محمّد مُرْ لي من مال الله الّذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ثمّ ضحك، ثمّ أمر له بعطاء[20].

أمانته ﷺ

عرف النبي ﷺ بخلق الأمانة، فشهد له بذلك قومه وعشيرته قبل بعثته وبعدها، فإنه لما أُعيد بناء الكعبة وبلغ البناء موضع الحجر الأسود؛ اختصمت قريش فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه، حتى أشار أحدهم بأن يكون أوَّل مَن يدخل من باب المسجد هو الذي يقضي بين القبائل في هذا الأمر، فرضوا بذلك، فكان أوَّل داخل عليهم رسول الله ﷺ، فلمَّا رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمَّد، فلمَّا انتهى إليهم، وأخبروه الخبر، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**هَلُمَّ إِلَيَّ ثَوْبًا، فَأُتِيَ به، فَأَخَذَ الرُّكْنَ فَوَضَعَهُ فيه بيَده**»، ثم قال: «**لتَأْخُذَ كُلُّ قَبيلَةٍ بنَاحيَةٍ منْ الثَّوْب، ثُمَّ ارْفَعُوهُ جَميعًا**»، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده ﷺ ثم بنى عليه[21].

كما شهدت على أمانته ﷺ زوجته السيدة خديجة رضي الله عنها؛ يقول ابن الأثير: فلما بلغها -أي خديجة- عن رسول الله ﷺ صِدْقُ الْحَدِيثِ وَعِظَمُ الْأَمَانَةِ وَكَرَمُ الْأَخْلَاقِ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ لِيَخْرُجَ فِي مَالِهَا إِلَى الشَّامِ تَاجِرًا[22]، ثم تزوجها بعد ذلك النبي ﷺ.

وظل هذا الوصف ملازمًا له بعد البعثة، يشهد له به كل من عرفه، كما جاء في قول هرقل لأبي سفيان: سَأَلْتُكَ ماذا يَأْمُرُكُمْ؟ فَزَعَمْتَ: أنَّه أمَرَكُمْ بالصَّلاة، والصِّدْق، والعَفافِ، والوَفاءِ بالعَهْدِ، وأَداءِ الأمانَةِ، وهذِه صِفَةُ نَبِيّ[23].

ولكثرة أمانته ﷺ لم يكن بمكَّةَ أَحَدٌ عندَه شيءٌ يخشى عليه إلَّا وضعه عندَه؛ لِما يعلَمُ من صدقه وأَمانته ﷺ[24]، فلما خرج ﷺ للهجرة أمر عليًّا رضي اللّٰه عنه أن يبقى في مكة حتى يؤدي عنه تلك الودائع والأمانات.

تواضعه ﷺ

كان سيدنا ونبينا محمد ﷺ سيد المتواضعين، يتخلق بقول الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[25]، فكان ﷺ شديد التواضع، لا يعتريه كبر ولا بطر على رفعة قدره وعلو منزلته.

ومن تواضُعه ﷺ أنَّه كان في خدمة أهله؛ فعن الأسود قال: سألتُ عائشةَ: ما كان النَّبيُّ ﷺ يصنعُ في بيته؟ قالت: كان يكونُ في مهنة أهله -تعني خدمةَ أهلِه-، فإذا حضرَت الصَّلاةُ خرج إلى الصَّلاةِ[26].

ومن صور تواضعه ﷺ أنه كان يجلس بين أصحابه، فيجيء الغريب فلا يدري أيهم رسول الله ﷺ حتى يسأل عنه، فعن أبي ذر وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْلِسُ بَيْنَ ظَهْرَيْ أَصْحَابِهِ، فَيَجِيءُ الْغَرِيبُ فَلَا يَدْرِي أَيُّهُمْ هُوَ حَتَّى يَسْأَلَ، فَطَلَبْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَجْعَلَ لَهُ مَجْلِسًا يَعْرِفُهُ الْغَرِيبُ إِذَا أَتَاهُ، قَالَ: فَبَنَيْنَا لَهُ دُكَّانًا مِنْ طِينٍ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ، وَكُنَّا نَجْلِسُ بِجَنْبَتَيْهِ[27].

ومن تواضعه ﷺ ما رواه أَنَسُ بْنُ مَالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُهُ[28].

وعنه رَضِيَ الله عنه قال: كان رسولُ اللَّه ﷺ يزورُ الأنصارَ فيُسَلِّمُ على صبيانِهم، ويمسَحُ برؤوسِهم ويدعو لهم[29].

ومن مظاهر تواضُعِه ﷺ: أنه كان يستجيب لدعوة من دعاه، دون تمييز أو انتقاء، فعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّه عنه أن النَّبِيِّ ﷺ قال: «**لو دُعيتُ إلى ذراعٍ أو كُراعٍ لأجبْتُ، ولو أُهدِيَ إليَّ ذراعٌ أو كُراعٌ لقَبِلتُ**»[30].

عفوه ﷺ

لقد كان الرسول ﷺ أعظم مثال للتسامح والعفو، فكان ﷺ متسامحًا مع جميع الناس، يعفو ويصفح، ويسامح ويغفر، فقد سئلت السيدة عَائشَة رضيَ اللّه عنهَا عَنْ خُلُقه ﷺ فَقَالَتْ: لَمْ يَكُنْ فَاحشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا وَلاَ صَخَّابًا فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ [31].

ومن نماذج عفوه عليه الصلاة والسلام ما كان منه حين جَاءَه رَجُلٌ يومًا وهو تحت ظل شجرة فقَامَ عَلَى رَأسه ﷺ بالسَّيْف، فَقَالَ له مهددًا: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ رَسُول اللّه ﷺ: «اللّه»، فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِ ذلك الرجل، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللّه ﷺ وهو في موقف المنتصر القوي، فَقَالَ: «مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟» قَالَ: كُنْ كَخَيْرِ آخِذٍ، وفي رواية: كُنَّ خَيْرًا مِنِّي، يعني لا تقتلني واعف عني، فقال النبي ﷺ: «أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّه»، فقَالَ الرجل: لَا، وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى ﷺ سَبِيلَهُ؛ رحمة به، وشفقة عليه، وعفوًا عنه، فما كان من هذا الرجل إلا أن ذَهَبَ إِلَى أَصْحَابِهِ منبهرًا من هذه الأخلاق العالية والمكارم الرفيعة فقال لهم: قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ [32].

تعاونه ﷺ

كان النبي ﷺ يسعى لقضاء حوائج الناس، ويحب مساعدتهم، ويقف معهم ويعينهم، وكان مجبولاً على ذلك منذ صغره وقبل بعثته، فحين جاءه الملك بالوحي ولجأ إلى زوجته السيدة خديجة رضي الله عنها ذكرته بصفة التعاون والتكافل التي تميز بها عليه الصلاة والسلام فقالت: وَاللَّه مَا يُخْزِيكَ اللَّه أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ [33].

ومن تعاونه عليه الصلاة والسلام تعاونه مع أهل بيته، فعندما سئلت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ -تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ- فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ[34].

ومن مظاهر تعاونه ﷺ مع أهل بيته أنه كان لا يرهقهم بما يستطيع فعله، فكان يخصِفُ النَّعلَ، ويَرْقَعُ الثَّوبَ، ويَخِيطُ[35]،كما قالت أمنا عائشة رضي الله عنها.

وكما كان النبي ﷺ متعاونًا مع أهل بيته؛ كان كذلك متعاونًا مع أصحابه، ومن ذلك أنه عليه الصلاة والسلام جاءه رجل يومًا يشكو دينًا عليه، فقال له ﷺ: «**أقمْ حتَّى تأتينا الصَّدَقةُ، فإمَّا أن نحملَها، وإمَّا أن نُعينَك فيها**»[36].

ومن مظاهر تعاونه ﷺ مع أصحابه أنه بعد هجرته لما أرادوا بناء المسجد؛ ساعدهم في ذلك، فكان عليه الصلاة والسلام يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبِنَ.

مزاحه ﷺ

كان ﷺ يؤانس أهله وأصحابه ويمازحهم، ويتلطف معهم، لإيناس نفوسهم، وجبر خواطرهم، فكان مزاحه جزءًا من أخلاقه، قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنِّي لَأَمْزَحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا**»[37] قال ابن كثير رحمه الله: وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه[38]، وقال القاضي عياض رحمه الله: وَكَانَ يُمَازِحُ أَصْحَابَهُ وَيُخَالِطُهُمْ وَيُحَادِثُهُمْ وَيُدَاعِبُ صِبْيَانَهُمْ وَيُجْلِسُهُمْ فِي حِجْرِهِ[39].

فمن مزاحه مع أهله عليه الصلاة والسلام؛ أنه قدم يومًا من سفر، فدخل عند زوجه أمنا عائشة رضي الله عنها، فهبَّت ريحٌ فكشفَت ناحية الستر عن ألعاب لعائشة رضي الله عنها على هيئة بنات، كانت تلعب بها، فقال: «**مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ**» قالت: بناتي، ورأى بينهن فرسًا له جناحان من رقاع، فقال: «**مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسْطَهُنَّ؟**» قالت: فرس، قال: «**وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟**» قالت: جناحان، قال: «**فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ؟**» قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلًا لها أجنحة؟ قالت: فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ[40].

ومن صور مزاحه ﷺ ما كان منه حين أتته عجوزٌ فقالت: يا رسول الله، ادعُ الله أن يُدخلني الجنة، فقال لها: «يَا أُمَّ فُلَان إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا عَجُوزٌ» قال: فولَّت تبكي، فقال رسول الله ﷺ: «أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَا تَدْخُلُهَا وَهِي عَجُوزٌ، إِنَّ الله يَقُولُ: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (35) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا(36) عُرُبًا أَتْرَابًا(37)﴾(41)».

أدبه في مجلسه ﷺ

كان للنبي ﷺ أدب جم في مجلسه، فمن ذلك تواضعه لجلسائه، فقد كان يجلس على الأرض، وعلى الحصير، والبساط.

ومن أدبه ﷺ في مجلسه ما وصفه به أنس بن مالك رضي الله عنه فقال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ فَصَافَحَهُ؛ لَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ الَّذِي يَنْزِعُ، وَلَا يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُهُ وَلَمْ يُرَ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ[42].

وكان مجلسه عليه الصلاة والسلام مجلس أدب ووقار وسكينة، قال القاضي عياض رحمه الله: مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ وَخَيْرٍ وَأَمَانَةٍ، لَا تُرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ، وَلَا تُؤْبَنُ فِيهِ الْحُرَمُ، إِذَا تَكَلَّمَ أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطَّيْرُ[43].

لقد كان ﷺ يستعد لمجلسه أيما استعداد، ويرحب بمن يأتيه غاية الترحاب، فَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْت أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا: أَنَّهَا أَخْرَجَتْ جُبَّةً وَقَالَتْ: هَذه جُبَّةُ رَسُول اللَّه ﷺ كَانَ يَلْبَسُهَا لِلْوُفُودِ[44]؛ وَالْجُبَّةُ ثَوْبٌ وَاسِعُ الْأكمام يُلْبَسُ فَوْقَ الثِّيَاب.

وحِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ وَفْدُ عَبْدِ الْقَيْسِ قَالَ لَهُمْ: «مَرْحَبًا بِالْوَفْدِ»[45].

وَلَمْ يَخْلُ مَجْلسُ رَسُولِ اللَّه ﷺ مِنَ التَّبَسُّم وَالْمُؤَانَسَة، فَكَانَ أَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمْ يَتَنَاشَدُونَ عِنْدَهُ الشِّعْرَ أَحْيَانًا، وَيَذْكُرُونَ الشَّيْءَ مِنْ أُمُورِهِمْ فَيَضْحَكُونَ، وَيَتَبَسَّمُ مَعَهُمْ ﷺ[46].

حبُّه ﷺ لوطنه

كان النبي ﷺ محبًّا لوطنه، مخلصًا له، حاميًا لعاداته وثوابته، حريصًا على نهضته وتطوره، حيث أثر حبُّه له في كثير من أفعاله وأقواله، ومن ذلك قوله ﷺ عن مكة: «**مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ...**»[47].

وكان ﷺ يدعو لوطنه بالبركة والخير والرخاء، فقد جاء في دعائه للمدينة المنورة بعد هجرته إليها: «**...اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا...**»[48].

ومن دعائه لوطنه أيضًا: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا! اللَّهُمَّ! إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ، بِمِثْلِ مَادَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَمِثْلِهِ مَعَهُ**»[49].

ومن مظاهر هذا الحب والتعلق أيضًا: أنه كان إذا قدم من سفر فأبصر المدينة؛ أسرع إليها، من شدة تعلقه بها، وحنينه لها[50].

وكانت تعاليمه النبوية تصب في خدمة الوطن والتأسيس لنهضته الحضارية والاجتماعية، ودفع عجلة التطور وتعزيز القيم فيه.

عنايته ﷺ بالبيئة

كان النبي ﷺ المثل الأعلى في العناية بالبيئة والمحافظة على مواردها الطبيعية، من ماء ونبات، وبحار وأنهار، وزروع وأشجار، وكان لتعاليمه منهج متكامل يتضمن المحافظة على الماء حتى في أداء العبادات كالاقتصاد في استخدامه في الوضوء، ومكافحة التلوث بكل صوره وأشكاله، والحث على الزراعة، بل إنه ﷺ جعل الإسهام في تحقيق جوانب الاستدامة البيئية بابًا من أبواب الصدقات، التي يؤجر عليها المرء حسنات، حيث قال ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلَ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»[51].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ... نَهْرًا أَجْرَاهُ»[52].

كما جعل ﷺ الحفاظ على البيئة ومواردها شعبة من شعب الإيمان حين قال: «الإِيمانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وستُّونَ شُعْبَةً، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ»[53].

ونهى ﷺ عن إهدار شيء منها ولو كان في عبادة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ مر بسعد -وهو يتوضأ- فقال: «مَا هَذَا السَّرْفُ يَا سَعْدُ؟»، فقال: وهل في الماء سرف يا رسول الله؟ قال: «نَعَمْ! وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ»[54].

فكانت هذه التعاليم النبوية دروسًا نقتدي بها، ومنهجًا بيئيًّا متكاملًا، وأسلوب حياة مستدامًا، يواكب كل الظروف والأزمان.

الخاتمة

لقد كان رسول الله ﷺ مثالًا حيًا للقيم السامية، والأخلاق الرفيعة، التي تحتاجها الإنسانية في كل زمان ومكان، بدءًا من تواضعه وأمانته، مرورًا بكرمه وصبره، وصولًا إلى حُسن تعامله مع الناس كافة، فكان بذلك مجمع المكارم والمحامد، وكانت سيرته وما تزال نموذجًا كاملًا للأخلاق الحميدة، المسهمة في بناء مجتمع راقٍ متماسك ومتآلف.

والقيم التي تجسدت في رسول الله ﷺ ليست مجرد تعاليم نظرية، بل هي ممارسات عملية قدمت للعالم أسمى معاني الرحمة، والعدل، فهي رسالة خالدة للبشرية جمعاء، نتمثلها في تعاملاتنا اليومية، ونرتقي بها في تواصلنا مع الآخرين.

ونحن إذ نختتم هذا الإصدار، ندعو إلى الاقتداء برسول الله ﷺ في أخلاقه وقيمه، فهي السبيل إلى تحقيق السلام الأكمل، وتعزيز روح المحبة والتسامح بين أفراد المجتمع، فلنجعل من سيرته العطرة نبراسًا نهتدي به، ومن قيمه العالية ميثاقًا نعمل على تنزيله، سعيًا نحو عالم أفضل يعمه الخير والعدل والمحبة.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا للسير على خطى رسوله الكريم ﷺ، وأن يرزقنا اتباع هديه، والعمل بما جاء به من تعاليم وقيم سامية، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

(1) سورة القلم: 4.
(2) المستدرك للحاكم، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، من كتاب آيات رسول الله ﷺ التي هي دلائل النبوة، رقم الحديث: 4221.
(3) مسند أحمد، رقم الحديث:24601.
(4) سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب في كلام النبي ﷺ، رقم الحديث: 3638.
(5) مسند أحمد، رقم الحديث:1740.
(6) سورة الأنبياء: 107.
(7) سورة الروم: 21.
(8) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم الحديث: 1468.
(9) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها، رقم الحديث: 3768.
(10) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، رقم الحديث: 30.
(11) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان، رقم الحديث: 1803.
(12) صحيح مسلم كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فَقَالَ لا وكثرة عطائه، رقم الحديث: 2311.
(13) صحيح البخاري، كتاب الخمس، باب ما كان للنبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، رقم الحديث: 2979.
(14) صحيح البخاري، كتاب في الاستقراض، باب أداء الديون، رقم الحديث:2389.
(15) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر، رقم الحديث:1053.
(16) سورة النحل: 172.
(17) سورة المزمل: 10.
(18) سورة يوسف: 18.
(19) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم إنا بك لمحزونون، رقم الحديث:1303.
(20) صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم، رقم الحديث:3149.
(21) سيرة ابن هشام، 1/197.
(22) الكامل في التاريخ لابن الأثير، 1/639.
(23) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد، رقم الحديث:2535.
(24) سيرة ابن هشام،1/487 .
(25) سورة القصص: 83.
(26) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب ما كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج، رقم الحديث:676.

(27) سنن أبي داود، أول كتاب السنة، باب في القدر، رقم الحديث:4698.
(28) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب التسليم على الصبيان، رقم الحديث:5893.
(29) السنن الكبرى للنسائي، كتاب المناقب، أبناء الأنصار رضي الله عنهم، رقم الحديث: 8291.
(30) صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها، باب القليل من الهبة، رقم الحديث:2568.
(31) سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في خلق النبي ﷺ، رقم الحديث:2016.
(32) مسند أحمد: 14929، وصحيح ابن حبان: 2883، والشفا بتعريف حقوق المصطفى بحاشية الشمني، 107/1.
(33) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم الحديث: 3.
(34) صحيح البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج، رقم الحديث: 644.
(35) مسند أحمد: رقم الحديث:25341.
(36) مسند أحمد: رقم الحديث: 20601.
(37) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، 121/1.
(38) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، 242/2.
(39) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، 121/1.
(40) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب اللعب بالبنات، رقم الحديث: 4932.
(41) سورة الواقعة: 35 37.
(42) سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم الحديث:2490.
(43) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، 138/1.
(44) الأدب المفرد للبخاري، 128/1.
(45) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول الرجل مرحبا، رقم الحديث: 6176.
(46) سنن الترمذي، أبواب الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر، رقم الحديث:2850.
(47) سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب في فضل مكة، رقم الحديث: 3926.
(48) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، رقم الحديث: 3711.
(49) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، رقم الحديث: 1373.
(51) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب من أسرع ناقته إذا بلغ المدينة ، رقم الحديث: 1808.
(51) صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه رقم الحديث: 2320. وصحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، رقم الحديث: 1553.
(52) سنن ابن ماجه، أبواب السنة، باب ثواب معلم الناس الخير، رقم الحديث: 242.
(53) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، رقم الحديث: 35.
(54) سنن ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهية التعدي فيه، رقم الحديث: 425.

فهرس الموضوعات

المقدمة	3
أخلاقيات النبي ﷺ إرث مستدام	4
رحمته ﷺ	6
كرمه ﷺ	8
صبره ﷺ	9
أمانته ﷺ	10
تواضعه ﷺ	12
عفوه ﷺ	14
تعاونه ﷺ	15
مزاحه ﷺ	17
أدبه في مجلسه ﷺ	19
حبُّه ﷺ لوطنه	21
عنايته ﷺ بالبيئة	22
الخاتمة	24

حقوق الطبع محفوظة

للهيئة العامة للشؤون الإسلامية

والأوقاف والزكاة

1446 هـ - 2024 م